لان الصفات الجلية لا تتفاوت وان يتحد اللفظان في النوع فخرج حذر
وحاذر وان يتحد في الاشتقاق فخرج زمن وزمان ولخاص متقدم على
العام اعترض بان هذا فيما مدلوله خاص وما مدلوله عام كفقيه وعالم فتقول
زيد فقيه وعالم ولا تقول زيد عالم وفقيه لان لذكر العام بعد الخاص فائدة
بخلاف عكسه وما هنا ليس كذلك فان الرحمن الرحيم وصفان احدهما
خاص بموصوف والاخر عام يطلق عليه وعلى غيره ثم اجريا على ذلك الموصوف
الخاص فصار المراد منهما موصوفا واحدا وهو الله تعالى فلا نظر في ذلك
لتقديم الخاص على العام من تلك الحيثية اذ ليس في الرحيم ما في الرحمن وزيادة
حتى تكون عاما والرحمن خاصا بل العموم والخصوص من حيث الاطلاق فكان الاولى
التعليل بان الرحمن لما كان خاصا صار كالعلم وان لم يصل الى حد العلمية فناسب
ان يلي العلم بخلاف الرحيم فان كان هذا مراد الشيخ وغيره فالامر ظاهر فتامل اذ لا انقياد
صوابه اذ لم ينقل فلا اي لان الدليل على الاختصاص كون اهل اللسان لم يقولوه
لا كونه لا انقياد وجوابه ان المنع من كونه فعالا هو لكونه لم ينقل فلا تصويب هذا اذا
تقرر هذا عرفت ان قوله اذ لا انقياد تعليل موافقا للغة فاستعماله في غيره فاستعماله
في غيره مخالف للغة استعمالا لا وقياسا ومنه قرنه بلفظ في قوله تعالى قل ادعوا
الله او ادعوا الرحمن واجيب عن قول اهل اليمامة بانه من تعنتهم في كفرهم وفي كلام
شيخ الاسلام ان المنع من اطلاق لفظ الرحمن على غيره تعالى شرعي طرا بعد
الاسلام كما هو المفهوم من كلام العز بن عبد السلام وعليه فلا يشكل قول اهل اليمامة
ويكون قوله اذ لا انقياد اي شرعا ومعاني كل الكتب اي سوى القرآن لئلا يلزم
عليه ظرفية الشيء في نفسه وكذا يقال فيما بعده فتستثنى الفاتحة من
القرآن والبسملة من الفاتحة والباء من البسملة وقد يجاب بان الشيء مع غيره
غيره في نفسه في نقطتها اي اول جزء يوضع عند ارادة رسمها مرحومي
فتو ومعناه ان ذاته تعالى نقطة الوجود المستمد منها كل موجود بدا
اي ابتدأ الشيخ والباء في البسملة متعلقة ببدا وفي بالحمدلة متعلقة بمحذوف اي ثم ثنى
او اتبع بالسلام ما بعده وثم للترتيب الذكري فقط وفي قوله للترتيب الذكري
نظر فالبسملة والحمدلة من باب النحت اي بدا بتسمي الحمد لله البسملة والحمدلة او
بما هما منحوتان منه اقتدا هو علة للجمع بين الامرين والترتيب بينهما قوله

بالكتاب

بالكتاب العزيز المفتتح بهما وكذا سائر الكتب السماوية لما نقل عن ابي بكر
التونسي من اجماع علماء كل ملة على ان الله تعالى افتتح كل كتاب ببسم الله الرحمن الرحيم
والدال لخبر بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة كل كتاب ولا ينافيه خصوصية
نبينا وامته بها اذ المختص اللفظ العربي بهذا الترتيب واما ما في النمل عن سليمان
فهو ترجمة عما في كتابه لبلقيس اذ لم يكن عربيا وان كان الكتاب نزل من السماء
عربيا لتعبير كل نبي عن كتابه بلسان قومه ولا ينافيه امره عليه السلام بكتب
باسمك اللهم الى نزول باسم الله مجراها فامر بكتب باسم الله الى نزول قل ادعوا
الله او ادعوا الرحمن فامر بكتب باسم الله الرحمن الى نزول اية النمل فامر بكتبهما
تماما فانه يقتضي عدم افتتاح القرآن بها لاحتمال عدم علمه بافتتاح القرآن
بها قبل الامر بذلك نعم يبعد ذلك بتاخر عدم علمه الى نزول اية النمل ولا ينافيه
ايضا ان معاني الكتب مجموعة في القرآن ومعانيه في الفاتحة ومعانيها في
البسملة فانه يقتضي اختصاص القرآن بها لان المختص اللفظ العربي على
هذا الترتيب كما مر فتظهر ان قولهم اقتداء بالكتاب العزيز للاقتصار على الاشرف
او لجمعه ونسخه اياها وعملا هو علة للابتداء بالبسملة فقط بدليل ما بعده
قال وفيه نظر ولما كان الكتاب لا امر فيه وكان اصلا واما ما قال اقتداء ولما
كان الحديث متضمنا للامر قال في جانبه عملا اي امتثالا بخبر بالتنوين وتركه
ذي بمعنى صاحب نعت امر وبال مضاف اليه والبال له معنيان في اللغة احدهما
القلب يقال فلان لا يخطر ببالي اي بقلبه والثاني الحال والشان وهو المناسب
هنا ولذا اقتصر عليه الشيخ ويصح ارادة الاول ايضا ويكون في الكلام استعارة
بالكناية حيث شبه الامر بذي قلب بجامع الاهتمام به والاعتناء والشرف واثبت
له البال تخييلا اي حال يهتم به شرعا بان لا يكون محرما ولا مكروها ولا ذكرا
محضا ولا جعل الشارع له مبدأ بغير البسملة فخرج المحرم فتحرم التسمية عليه وعلى
المتعمد والمكروه فتكره عليه وخرج الذكر المحض كالتهليل فلا تطلب له تسمية
وخرج بالمحض القرآن فتطلب التسمية فيه لاشتماله على القصص والاحكام وخرج
ما جعل الشارع له مبدأ بغير البسملة كالصلاة وينبغي تقييد الامر بذي البال بان لا
يكون مقصودا لا لذاته بل وسيلة الى المقصود فلا يرد ان كلا من البسملة والحمدلة
امر ذو بال فيحتاج الى سبق مثله ويتسلسل واحسن من هذا الجواب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)